من مناهج التصوف

الذكر

« ولذكر الله أكبر »
قرآن كريم

التصوف صلة دائمة بالله ، وأساس هذه الصلة . هو ذكر الله جل جلاله ذكرا دائما بالقلب واللسان والمراقبة والأعمال .

ومن هذا الذكر استمد المتصوفة حياتهم الروحية العلية . إنهم أبدا على صلة وعودة بفاطر السموات والأرضين ، لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . تتجافى جنوبهم عن المضاجع غراما وهياما ، ويبيتون لربهم سجدا وقياما ، السنتهم أبدا رطبة بذكر الله ، وقلوبهم عامرة بحبه ، وأرواحهم تسبح فى أنواره ، ورحمته تلهمهم وترشدهم وتفيض عليهم من أنسه ونعيمه وفتوحاته

وفى الحديث القدسى « . . من ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه » رواه البخارى ومسلم

وروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى مستدركه والبيهقى عن أبى الدرداء عن معاذ عن النبى ﷺ قال : قال رسول الله صلوات الله عليه : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند ملككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ؟ قالوا بلى يارسول الله : قال : ذكر الله عز وجل »

ويقول الامام ابن القيم : « . . الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى يثمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ، ورسخ أصلها ، كان اعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد . ويقول

[illegible] رأس الاصول ، ومن جملة الطائفة [illegible] باب الدخول على الله [illegible] الذكر

مايريد ، فإن وجد ربه عز وجل ، وجد كل شيء ، وإن فاته ربه عز وجل ، فاته كل شيء ،

تلك لمحة عن مقام الذكر عند الله ، ومقامه من المنهج الصوفي ، ولكن ما هي حقيقة الذكر . وما هي صورته التي يرضى عنها الله سبحانه ، صورته التي اختصت بتلك المكانة العالية .

إن الذكر الذي يحبه الله ، وتهبط له الملائكة أجنحتها ، وتفتات به وتحيا عليه ، هو الذي تتجلى آثاره على جوارح صاحبه وحركاته وأعماله ومنهجه في السلوك العام

إن المراد بالذكر ، هو أن يتعلق الذاكر بالاسم الذي يذكر به ، وأن تتطهر روحه بمعانيه ، ويزكو قلبه بمعناه ، وتعلو على أعماله بإشراقاته وإلهاماته

فإذا ذكر الذاكر كلمة « الله » أمتلأ قلبه إيمانا بالله الواحد الأحد ، الذي ليس كمثله شيء ، القادر القوي القاهر فوق عباده ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير

إذا امتلأ القلب بتلك الكلمة ، تجلى الإيمان على العبد ، فلا يرهب إلا الله ، ولا يجل إلا الله ، ولا يقرب المحرمات ، ولا يتهاون في عبادة أو طاعة .

إن الله يرى ، والذاكر يذكر الله الذي يراه ، فيجب أن يكون حيث يحب أن يراه الله ، كمالا وخلقا وأدبا وإيمانا ومروءة ونجدة ، ووفاء وكرما وسماحة وطهرا .

وإذا ذكر الذاكر صفة الرحمن ، فإن عليه أن يتخلق بخلق الرحمن ، يجب أن يتحلى بالرحمة العامة الشاملة ، يرحم أسرته ، ويرحم إخوانه ويرحم زملاءه ، يرحم المسلمين ، يرحم الناس كافة ، بل يرحم كل ذي كبد رطب من إنسان وحيوان

يرحمهم بخلقه وبعمله وبماله وبجاهه وقوته ، يرحمهم بالعون وبالمساعدة والنجدة والإيثار .

وهكذا ... الذكر ... يكون الذكر ذكرا ...

يقول ابن عطاء الله السكندرى : « وكل عمل صالح فهو ذكر لله . فالمتفقه ذاكر : والمدرس ذاكر ، والمفتى ذاكر ، والمتفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسماواته ذاكر ، والممتثل ما أمر الله به ، والمنتهى عما نهى عنه ذاكر ، وقد يكون الذكر باللسان ، وقد يكون بالجنان . وقد يكون بأعضاء الإنسان . وقد يكون بالإعلان والجهر . والجامع لذلك كله ذاكر كامل »

كل عمل صالح فهو ذكر لله . فالحاكم عندما يعدل فى حكمه فهو ذاكر لله . والجندى عندما يفتدى بروحه وطنه . فهو ذاكر لله . والتاجر حينما يستعصم بالأمانة وبالصدق . فهو ذاكر لله

جاء فى الحديث القدسى : « إن عبدى كل عبدى . هو الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه — أى خصمه — ويقول سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »

لجنة نشر الأصول الصوفية

تصدر قريبا

كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل

للإمام الصوفى الكبير الحارث المحاسبى

موسوعة صوفية كبرى . وأصل عظيم جليل من أصول التصوف وعمده

حققه وقدم له وعلق عليه

الأستاذان الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقى سرور

بتأييد وتشجيع من فضيلة الأستاذ

الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف

الناشر : مكتبة دار الكتب الحديثة — ١٤ شارع الجمهورية بالقاهرة